٦ – متى نحارب ؟ (الكشكول) :

لقد ازداد اقتناعى – منذ مؤتمر الجيزة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ – بأننا نقترب من شن الحرب . ولفت نظرى بعض ما جاء فى حديث الرئيس السادات فى هذا المؤتمر عندما قال « نحن اليوم أمام امتحان للقوات المسلحة خلاصته أن هزيمة يونيو ١٩٦٧ جعلت العدو والصديق لا يثق بأننا سنقاتل ، ولذلك فإن الحلول التى تعرض علىّ كلها من منطق أننا لن نحارب ... أمام شعبنا وأمام العدو والصديق لازم نثبت أننا نستطيع أن نضحى ونناضل ... القتال بالأسلوب الذى يمكّننا به ما عندنا من أسلحة وبتخطيط تام ... بما لدينا نرسم ونخطط ، وبذلك يكون الكلام له قيمة ... مع الجميع سيتغير شأننا أو ستنتهى القضية إلى السكون والموت » .

ووصلنا فى أوائل عام ١٩٧٣ إلى أن الوقت ضدنا . وإلى أن يتم الاتفاق السياسى بين الرئيسين السادات والأسد على بدء الحرب بتعاون مصر وسوريا ، كان من الضرورى أن نقوم فى هيئة عمليات القوات المسلحة بتحديد أنسب التوقيتات للقيام بالعملية الهجومية خلال عام ١٩٧٣ حتى توضع أمام الرئيس السادات ليكون أمامه حرية الاختيار على ضوء الموقف السياسى المناسب والاتفاق مع الرئيس الأسد عليه . وبذلك يكون العمل العسكرى متمشياً مع العمل السياسى ، ويكون العمل السياسى منسقاً مع العمل العسكرى .

وضعنا فى هيئة العمليات – بمبادأة من الهيئة – هذه الدراسة على ضوء الموقف العسكرى للعدو وقواتنا ، وفكرة العملية الهجومية المخططة ، والمواصفات الفنية لقناة السويس من حيث المد والجزر وسرعة التيار واتجاهه ، وساعات الإظلام وساعات ضوء القمر ، والأحوال الجوية ، وحالة البحرين المتوسط والأحمر ، التى تحقق أفضل استخدام

لقواتنا للقيام بالعملية الهجومية بنجاح وتحقق أسوأ الظروف لإسرائيل . كما كان ضرورياً إختيار أفضل التوقيتات التى تناسب تنفيذ الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية فى وقت واحد .

درسنا كل شهور السنة لاختيار أفضل الشهور لاقتحام القناة على ضوء حالة المد والجزر وسرعة التيار واتجاهه . وجدنا أن فرق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جزر هو ٨٠ سنتمتراً فى القطاع الشمالى للقناة (الاسماعيلية - بورسعيد) بينما فرق المنسوب فى القطاع الجنوبى (الاسماعيلية - السويس) هو متران . كما أن سرعة التيار فى القطاع الشمالى هو ١٨ متراً فى الدقيقة ، بينما سرعته فى القطاع الجنوبى هو ٩٠ متراً فى الدقيقة . أما اتجاه التيار فانه يتغير دورياً كل ٦ ساعات من الشمال للجنوب وبالعكس . كانت كل هذه الظواهر الطبيعية مطلوباً معرفتها لتحديد تأثيرها على وسائل العبور بالقوارب وانشاء وتشغيل المعديات والكبارى ، وبالتالى يمكن اختيار أفضل التوقيتات .

ثم انتقلنا فى الدراسة لتحديد طول الليل يومياً ، لاختيار ليل طويل بحيث يكون النصف الأول منه فى ضوء القمر والنصف الثانى فى حالة إظلام ، حتى يسهل تركيب وإنشاء الكبارى فى ضوء القمر ويكون عبور القوات والأسلحة والمعدات فى الظلام .

وكان من الضرورى أيضاً دراسة حالة الأرصاد الجوية المناسبة لعمل القوات الجوية ، وحالة البحرين المتوسط والأحمر لمعرفة أنسبها لعمل القوات البحرية .

واشتملت الدراسة أيضاً على جميع أيام العطلات الرسمية فى إسرائيل بخلاف يوم السبت وهو يوم أجازتهم الأسبوعية ، حيث تكون القوات المعادية عادة أقل استعداداً للحرب . وجدنا أن لديهم ثمانية أعياد فى السنة منها ثلاثة أعياد فى شهر أكتوبر ١٩٧٣ هى عيد الغفران (يوم كيبور) وعيد المظلات وعيد التوراة . ولكل عيد من هذه الأعياد تقاليد وإجراءات يقومون بها تختلف من عيد لآخر . وكان يهمنا فى هذا الموضوع معرفة تأثير كل عطلة على إجراءات التعبئة فى إسرائيل التى تعتمد اعتماداً رئيسياً فى الحرب على قوات الاحتياطى . وكما يقولون فإن جيش إسرائيل يشبه « جبل الجليد » قمته ظاهرة هى الجيش العامل أما قاعدته العريضة فى القاع هى القوات الاحتياطية . ولإسرائيل وسائل مختلفة لاستدعاء الاحتياطى بوسائل غير علنية ، وأخرى علنية تكون بإذاعة كلمات أو جمل رمزية عن طريق الإذاعة والتليفزيون . ووجدنا أن يوم عيد الغفران - يوم كيبور - هو يوم سبت ، والأهم من ذلك هو اليوم الوحيد خلال العام الذى تتوقف

فيه الإذاعة والتليفزيون عن البث كجزء من تقاليد هذا العيد الذى يعتبر يوم سكون كامل . أى أن استدعاء قوات الاحتياطى بالطريقة العلنية السريعة غير مستخدمة ، وبالتالى يستخدمون وسائل أخرى تتطلب وقتاً أطول لتنفيذ تعبئة الاحتياطى .

ثم انتقلنا فى الدراسة إلى عامل آخر هو « الموقف الداخلى فى إسرائيل » ، فقد كانت تجرى انتخابات إتحاد العمال (هستدروت) فى سبتمبر ، وتجرى انتخابات البرلمان الإسرائيلى (الكنيست) يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ . والمعروف أن الحملة الانتخابية تجذب أفراد الشعب لها ، علما بأن أغلب الشعب يشكل الجيش الاحتياطى مع تعبئة الدولة أثناء الحرب . ومن هنا كان من المفيد أن يوضع شهر أكتوبر ١٩٧٣ فى الاعتبار كشهر مناسب لشن الحرب إذا كانت العوامل الأخرى السابق شرحها تعتبر مناسبة للعملية الهجومية .

وعن الوقت المناسب للهجوم فى الجبهة السورية ، فقد كان لا يجب أن يتأخر بعد شهر أكتوبر ١٩٧٣ حيث أن حالة الطقس والجو تصبح غير مناسبة نظراً لبدء تساقط الجليد .

ووصلنا من هذه الدراسة المستفيضة إلى تحديد أنسب الشهور خلال عام ١٩٧٣ للقيام بالعملية الهجومية ، وكان أنسبها ثلاثة توقيتات هى مايو أو أغسطس أو سبتمبر / أكتوبر . وكان أفضلها هو شهر أكتوبر ١٩٧٣ حيث أن ظروف الطقس والأحوال الجوية مناسبة للعبور ، وأن فترة الليل طويلة يصل الإظلام فى بعض أيامه إلى ساعات طويلة ، فضلاً عن أن حالة البحر مناسبة للعمليات البحرية . والشهر يزدحم بثلاثة أعياد ، وتستعد فيه الدولة لانتخابات البرلمان الإسرائيلى . ويأتى شهر رمضان المبارك خلال هذا الشهر بما له من تأثير معنوى على قواتنا ، ولا يتوقع العدو الإسرائيلى قيامنا بالهجوم فى شهر الصيام .

واستكملنا فى نفس هذه الدراسة الطويلة والعميقة اختيار اليوم المناسب فى كل شهر وقع عليه الاختيار ، بحيث يكون عطلة رسمية ، وأن يكون فرق المنسوب بين المد والجزر فى القناة أقل ما يمكن لتوفير ظروف أفضل لعبور القوارب وتشغيل المعديات وإنشاء الكبارى ، وأن يتميز بضوء القمر الساطع فى النصف الأول من الليل حتى تقام الكبارى ليلاً فى ضوء القمر ، ثم يبدأ عبور القوات فى الظلام خلال النصف الثانى من الليل .

ونتيجة لهذه الدراسة ، كان التوقيت المقترح للهجوم — من وجهة النظر العسكرية —

أن يتم خلال مايو أو أغسطس أو سبتمبر / أكتوبر ، كما حددنا يوماً فى كل مجموعة من هذه التوقيتات الثلاثة يعتبر مناسباً لبدء الحرب .

وكان يوم السبت – عيد الغفران – ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (١٠ رمضان ١٣٩٣) هو أحد الأيام المناسبة ، وهو الذى وقع عليه الاختيار فى مجموعة سبتمبر / أكتوبر . فقد توفرت فيه الشروط الملائمة لاقتحام القناة والهجوم ، فهو يوم عيد فى إسرائيل ، والقمر فى هذا اليوم (١٠ رمضان) مناسب ومضيء من غروب الشمس حتى منتصف الليل بالاضافة للعوامل الأخرى السابق شرحها . وقد اعتقد الكثيرون أن هذا اليوم تحدد للهجوم المصرى السورى لأنه فقط (يوم كيبور) فى إسرائيل ، وهو اعتقاد خاطىء لأن هناك عوامل أخرى كثيرة تحكمت فى تحديد هذا اليوم .

سلمت هذه الدراسة بنفسى – مكتوبة بخط اليد لضمان سريتها – للفريق أول أحمد إسماعيل الذى قال لى إنه عرضها وناقشها مع الرئيس السادات فى برج العرب (غرب الاسكندرية) فى أوائل أبريل ١٩٧٣ . وبعد عودته أعادها لى باليد ، ونقل لى انبهار وإعجاب الرئيس السادات بها ، وعبَّر الفريق أول أحمد إسماعيل عن شكره لهيئة عمليات القوات المسلحة لمجهودها فى إعداد هذه الوثيقة الهامة ، وكان تعليقه عليها – مسجلاً – فيما بعد بقوله :

" لقد كان تحديد (يوم الهجوم) عملاً علمياً على مستوى رفيع . إن هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير ، وسوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين " .

كانت هذه الوثيقة هى التى أشار إليها الرئيس السادات فى أحاديثه بعد الحرب بكلمة (الكشكول) أو (كشكول الجمسى) .

وهنا لا بد أن أسجل فضل العقول المصرية فى هيئة عمليات القوات المسلحة مع العقول الأخرى فى تخصصات مختلفة بالقوات المسلحة التى ساهمت بعلم واقتدار فى بحث نواح علمية وفنية كثيرة استدعتها هذه الدراسة ، والتى لولاها لما أمكن تحديد أنسب شهر وأفضل يوم لشن الحرب . وحتى أعطى الفضل لأصحابه ، فإنى أقول إن هذه الوثيقة هى (كشكول هيئة عمليات القوات المسلحة) التى أعتز وأفخر أنى كنت رئيساً لها فى فترة هامة من تاريخ القوات المسلحة وتاريخ مصر .

ويقول الرئيس السادات فى كتابه « البحث عن الذات – ص ٣٢٦ » عن ذلك :

" فى أبريل ١٩٧٣ جاء الرئيس حافظ الأسد إلى مصر فى زيارة سرية . كان الفريق الجمسى وقتها مدير العمليات بالقوات المسلحة ، فأحضر لنا المذكرة التى دون فيها المواعيد المناسبة للعمليات الحربية على مدار السنة من وجهة نظر العلوم العسكرية ، وقد كانت مكتوبة بخط يد الجمسى لأنها سرية ، وهى ثلاث مجموعات من الأيام . المجموعة الأولى فى مايو ١٩٧٣ ، والثانية فى أغسطس وسبتمبر ١٩٧٣ والثالثة فى أكتوبر ١٩٧٣ . (صحتها : مايو والثانية أغسطس والثالثة سبتمبر / أكتوبر ١٩٧٣) .

كانت أنسب هذه المجموعات مجموعة أكتوبر وخاصة أن الجبهة السورية ابتداء من نوفمبر حتى الربيع غير جاهزة للعمليات نظراً للظروف الطبيعية هناك .

فى هذا الاجتماع كنت أنا وحافظ الأسد وحدنا فى برج العرب بالصحراء الغربية غرب الاسكندرية . فقلت له : لقد قررت أن أدخل المعركة هذا العام ، وأعطيت تعليماتى للفريق أول أحمد إسماعيل ، فما رأيك ؟

قال لى : أنا معك وداخل وبنجهز نفسنا .

اتفقت مع حافظ الأسد ألا نبدأ المعركة ألا بعد تكوين مجلس أعلى مشترك للقوات المسلحة المصرية السورية . كوّنا هذا المجلس المشترك ، واجتمع فعلاً فى أغسطس ١٩٧٣ فى الاسكندرية ليضع اللمسات الأخيرة للمعركة "

مؤتمر الاسكندرية - ٢٢ ، ٢٣ أغسطس ١٩٧٣ :

وبينما كانت مدينة الأسكندرية تكتظ بالمصيفين الذين يقضون أوقاتهم على شواطيء البحر للراحة والاستحمام ، وصل القادة العسكريون السوريون فى سرية تامة إلى المدينة وانجزوا عملاً هاماً مع القادة العسكريين فى مصر ، وعادوا إلى سوريا فى سرية كاملة دون أن يشعر أو يعلم أحد .

كان القادة السوريون برئاسة اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع ومعه رئيس الأركان ورئيس شعبة العمليات ومدير المخابرات العسكرية وقائد الطيران والدفاع الجوى وقائد القوات البحرية . أما القادة المصريون برئاسة الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية ومعه رئيس الأركان ورئيس هيئة العمليات ومدير المخابرات الحربية وقائد القوات الجوية وقائد قوات الدفاع الجوى وقائد القوات البحرية . وبذلك كنا

١٣ قائداً يشكل منهم المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية والسورية . وحضر هذا الاجتماع اللواء بهى الدين نوفل من القيادة الاتحادية .

اجتمعنا فى مكتب اللواء بحرى فؤاد زكرى قائد القوات البحرية بالاسكندرية يومى ٢٢ ، ٢٣ أغسطس ١٩٧٣ للبت نهائياً فى بعض الموضوعات العسكرية المشتركة وأهمها الاتفاق النهائى على توقيت بدء الحرب .

كان شهر مايو انقضى دون أن يصدر القرار السياسى ببدء الحرب ، وكان اجتماعنا فى الأسبوع الأخير من أغسطس ، وبالتالى لم يصبح أمامنا خلال عام ١٩٧٣ سوى سبتمبر وأكتوبر . وإذا لم تبدأ الحرب فى أى منهما ، كان ذلك يعنى تأجيل الحرب إلى عام ١٩٧٤ ، وهو ما يتعارض مع تقدير الموقف السياسى والعسكرى .

تم الاتفاق فى هذا الاجتماع على بدء الحرب فى أكتوبر ١٩٧٣، وسجلت القرارات بخط اليد لضمان سريتها . وكانت نتيجته تحتاج إلى تصديق القيادة السياسية . لذلك سافر الرئيس السادات لزيارة المملكة العربية السعودية وقطر وسوريا ، حيث اجتمع مع الرئيس الأسد فى دمشق يومى ٢٨ ، ٢٩ أغسطس واتفقا أن يكون يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ هو يوم بدء الحرب .

لقد كان مؤتمر الاسكندرية هو الخطوة الأخيرة فى طريق التعاون العسكرى بين مصر وسوريا ، هذا الطريق الذى استغرق وقتاً طويلاً ، وكللت الجهود المبذولة فيه بالنجاح .

ولا شك أن اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية والسورية لتقرير بدء الحرب ضد العدو فى وقت واحد وخوض الحرب بجهد منسق مشترك هو حدث تاريخى ، حيث لم يسبق أن حدث مثل هذا التعاون العسكرى بين دولتين عربيتين ضد إسرائيل منذ إنشائها ، وأصبح علامة بارزة من علامات حرب أكتوبر ١٩٧٣ وهو ما لم تتوقعه أو تكشفه إسرائيل أو أى دولة أخرى .

□ □ □

ومن المفارقات التى تذكر انه فى الوقت الذى قررت فيه مصر وسوريا خلال أغسطس ١٩٧٣ دخول الحرب ، كانت إسرائيل ترى فى نفس الشهر أنها ليست

فى حاجة إلى السلام مع العرب ، وأنها فرضت الأمر الواقع على الدول العربية بالقوة العسكرية منذ حرب يونيو ١٩٦٧ .

لقد كان ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى فى زيارة لإسرائيل فى أغسطس ١٩٧٣ لإعداد كتاب عن مستقبل إسرائيل بعد الاستماع لآراء القادة السياسيين والعسكريين هناك . كان جولدمان له سؤال يريد الاجابة عنه هو : « أيهما أفضل لإسرائيل ويجعلها أكثر قوة .. الأراضى التى تحتلها أم التسويات السياسية ؟ » .

كان رد ديان – وهو رأى إسرائيل : " إن السلام الذى تريده إسرائيل قد تحقق منذ عام ١٩٦٧ . نحن نسعى لخلق سلام بيننا وبين العرب بطريقة غير رسمية ، ولسنا بحاجة إلى السلام الرسمى . وربما كان السعى وراء هذا السلام الرسمى يضر بالحالة التى نحرص عليها وهى تثبيت الأمر الواقع الذى فرضته حرب ٦٧ تثبيتا يدخل فى صيغة سلام غير رسمى " .

قال جولدمان : إن سؤالى محدد أرجو أن تكون الاجابة عنه محددة وهو : « هل تعتقدون أن قوة إسرائيل فى الأراضى أم فى التسويات ؟ » .

أجاب ديان قائلاً :

" إنى لا أرضى إلا بسلام القوة الذى يحقق لإسرائيل الحدود الآمنة . وبالطبع لن يستطيع أحدنا أن يحدد مساحة هذه الحدود ، لأنها تتغير تلقائياً نظراً لطبيعة نمو وتوسع إسرائيل . وإذا كنا نسعى لأن نكون نحن بديل القوى الكبرى فى الشرق الأوسط فيجب أن تكون لنا أنيابنا . وهذه الأنياب عسكرية واقتصادية وجغرافية ، والناب الأول أى الناب العسكرى يحقق الأنياب الأخرى " .

وهنا لا يجب أن ننسى أن حرب أكتوبر ١٩٧٣ أثبتت عمليا لإسرائيل أنها لم تتمكن من فرض السلام بالقوة على العرب ، وأنها لم تتمكن من تثبيت الأمر الواقع الذى فرضته حرب يونيو ١٩٦٧ ، ولكنه الغرور الإسرائيلى الذى تحكم فى تصرفاتهم منذ انتهاء حرب يونيو حتى ترسب فى عقول قادتهم السياسيين والعسكريين أن تلك الحرب هى التى أنهت لهم كل الحروب .